

تجديد الخطاب الديني في العقيدة الإسلامية

د. ياسر أحمد سالم رابعة

جامعة البلقاء التطبيقية - كلية عجلون الجامعية

قسم العلوم الأساسية

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الهادي الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. تتناول هذه الدراسة التجديد في الخطاب الديني العقدي من حيث المفهوم، وتأسيس مصطلح التجديد في ضوء الإسلام والآثار التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي تتعلق به وإيضاح أهمية التجديد، وبيان آراء العلماء في تجديد الخطاب الديني العقدي والتحديات التي تواجه تجديد الخطاب الديني العقدي. وتعتمد هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يقوم على تتبع معالم التجديد، ثم تحليلها وتحليل آراء العلماء فيها. كما جاءت في الإسلام الذي عالج بمنهج شامل أصيل كل ما من شأنه الارتقاء بالخطاب الديني، كمنهج متجدد يوافق كل عصر ويحقق كل مصلحة تخدم الدين الإسلامي والدعوة الإسلامية تنطلق من وحدة المسلمين. وتتعلق الدراسة من فرضية مفادها أن التجديد حاجة متغيرة ومتطلب قائم كحاجة دائمة في كل عصر، فهل هناك تجديد في العقيدة مع اليقين بأنها أصل الدين؟، ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية: ١_ هل التجديد في الخطاب الديني موجود في الجانب العقدي؟ ٢_ ما هي ضوابط التجديد في العقيدة الإسلامية؟ ٣_ كيف تعامل العلماء مع التجديد في جانب العقيدة؟ وتنقسم الدراسة إلى مقدمة تبين مفهوم التجديد في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومبحثين، يتناول الأول منهما الإشارات المتعلقة بالتجديد وضوابطه في العقيدة الإسلامية، وآخر يتناول دلالات الإشارات حول التجديد وماهيته في العقيدة وكيف تعامل العلماء معها، وخاتمة تلخص أبرز نتائج الدراسة وتوصياتها.

ABSTRACT

IN this study I am going to search about the regeneration of the religious' allocation in the Holly Quran ,and in alsunnah. In addition , this study will clarify the importance of regeneration ,and shows the scientists opinions in it . In addition , this study will focus on the challenges that faces the religious regeneration.This study depends on the inductive analytical method in studying the religious regenerations aspects , and analyze the scientist points of views of the religious regenerations as the same way that comes in AL-Islam which suits all times and places.This study start from the hypotheses of the importance of the religious regeneration as a considerable need in all ages and nations .The study will answer these questions :Is the religious regeneration in the Islamic doctrine ?What are the criterion of the religious regeneration in the Islamic doctrine ?How do the scientist deal with the religious regeneration ?The study was divided into four parts : The first one is the introduction .The second part is talking about the indications of the religious regeneration . The third one is showing the evidences of the religious regeneration in the Islam . The final part is the conclusion that shows the main findings of the study .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى وعلى آل بيته وصحبه ومن سار على دربه واقتفى، أما بعد. إن مصطلح التجديد يعد موضوعاً مقترناً لكل جوانب الدين الإسلامي، إن لم يكن في الجوهري فيقترن بالأسلوب، فهو يحمل طبيعة خاصة تضفي المرونة والخلود لهذا الدين العظيم، فهو بحق رفيق كل داعٍ إلى الله على بصيرة، وهو سلاح يمكن الداعية إلى الله من استمداد جوانب الرحمة في إسلامنا، الذي غفل عنه الكثيرون، وأنكره من هم أكثر، وألصقوا ما سواها من صفات يبرأ منها ديننا الحنيف؛ كالإرهاب والغلو والتطرف، والتي لا يقرها الدين الحنيف. وحيث أن التجديد بحسب ما هو ظاهر من لفظه، يعطي انطباعاً أنه روح وحياة لهذا الدين الحنيف، فينساب للسامع أن هذا الدين ما جاء إلا وصالحاً ومصلحاً لكل إنسان في كل زمان ومكان، وما التجديد إلا توظيفاً هدفه خدمة رسالة الدين الإسلامي الحنيف.

والتجديد يعدّ إعادة وبعث لمفاهيم العقيدة الإسلامية الصحيحة، بتتقية ما حاول البعض من إصاق ما ليس منها بها، وتوضيح العقيدة الصحيحة بحسب ما جاءت في الكتاب والسنة وما نقل عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والعلماء المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.

فمصطلح التجديد مصطلح إسلامي، نجد تأصيله من حديث النبي ﷺ.

مفهوم التجديد:

مفهوم التجديد (لغة): مفرد، والتجديد في اللغة مأخوذ من الفعل جدد، الجدة: مصدر الجديد، وتجدد الشيء: صار جديداً. وأجده وجدده واستجده أي صيّر جديداً، ومنه الجديان: الليل والنهار، وذلك لأنهما لا يبيلان أبداً⁽¹⁾، ويطلق الجديد في اللغة على معان منها: ضد القديم البالي، يقال جد يجد فهو جديد، وتجدد الشيء: صار جديداً وأجده وجدده، واستجده: صيره جديداً، وسمي الليل والنهار الجديان: لأنهما لا يبيلان أبداً، ويقال: لا أفعل ذلك ما اختلفت الجديان أي الليل والنهار⁽²⁾. والجديد: وجه الأرض، والجمع أجدة وجدد وجدد⁽³⁾، فالتجديد إذن يتكون من ثلاثة معان متصلة وهي: أن الشيء المجدد قد كان في أول أمره موجوداً وللناس به عهد، وأن هذا الشيء قد طرأ عليه ما غيره وأبلاه وصار قديماً، وأن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق⁽⁴⁾. فالتجديد هو الاحتفاظ بالقديم، وترميم ما بلى منه، وإدخال التحسين عليه، لأن التجديد إنما يكون لشيء قديم⁽⁵⁾.

التجديد في الاصطلاح:

(1) لسان العرب: مجّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) (3/111) دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

(2) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين مجّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، (3/111)، والقاموس المحيط، مجد الدين مجّد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط 2، 1407هـ/1987م، ص 346-347.

(3) المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، مجّد خلف الله أحمد، أشرف على الطبع/حسن علي عطية، مجّد شوقي أمين، ط 2، (1392هـ/1972م)، (1/110). والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، 1/291.

(4) لسان العرب، (3/111)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن مجّد بن علي المقرئ الفيومي، 1/92.

(5) الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة ط (1)، (1406هـ)، ص (27).

قال العلقمي: "معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما" (6).

وقال المناوي عند شرح معنى: "يجدد لها أمر دينها": ما اندرس من أحكام الشريعة وما ذهب من معالم السنن وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة" (7).

وقال المودودي: "التجديد في حقيقته هو: تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان" (8).

ولعل تحديد العلقمي بأن التجديد هو إحياء لما اندرس من العمل بالكتاب والسنة هو المعنى الأقرب للتجديد بمعناه الاصطلاحي.

النصوص التي جاء فيها التجديد في القرآن والسنة:

أولا: القرآن الكريم:

قال تعالى: {وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} [الإسراء: 49]. وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [سبأ: 7]. وقال تعالى: {وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [السجدة: 10]. وقال تعالى: {أَفَعَبَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [لق: 15]. والملاحظ أنه لم يأت في القرآن الكريم لفظ جدد أو تجديد، وإنما وردت كلمة جديد بمعنى الإحياء والإعادة لما كان موجودًا وبلى ودرس.

ثانيا: التجديد في الحديث النبوي:

عن أبي هريرة -فيما أعلم- عن رسول الله ﷺ - قال: ((إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)) (9)، وقوله ﷺ: ((إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم)) (10). وقوله ﷺ: ((جددوا إيمانكم))، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: ((أكثرُوا من قول: لا إله إلا الله)) (11).

(6) عون المعبود شرح سنن أبو داود، مُجَّد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية، ط 2، 1415هـ، 11 / 260.

(7) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، مُجَّد عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، القاهرة، 1356هـ، 1 / 9.

(8) موجز تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، أبو الأعلى المودودي، ط 2، 1386هـ / 1967م، دار الفكر الحديث، لبنان، 52.

(9) أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود (349/6)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمَّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

(10) رواه الحاكم في المستدرک: (45 / 1).

(11) أخرجه أحمد في مسنده (359 / 2)، والحاكم في المستدرک (285 / 4)، من طريق صدقة بن موسى الرقيقي، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: (صدقة ضعفه)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ورواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن (268 / 2) وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات (82 / 2)، وفي موضع آخر رواه، أحمد وإسناده جيد وفيه سمير بن نهار وثقه ابن حبان (52 / 4)، وحسنه العجلوني في كشف الخفاء (332 / 1).

المبحث الأول: ضوابط التجديد في العقيدة الإسلامية:

أولاً: الحرص الشديد على المحافظة على أصول الدين وفروعه:

فالتجديد لا يصح إلا بالمنهج الإسلامي وبالآدوات والآليات التي تتسجم مع المحتوى المقدس للإسلام. فلا بد أن يعتمد المجدد على منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالتجديد الذي يصادم النصوص الشرعية أو يخل بها، ليس تجديداً، وإنما تغيير وتبديد، لأن الأصل هو التمسك بالنصوص الشرعية لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: 12]، فأى فكر يتعارض مع النصوص الشرعية القطعية لا اعتبار له⁽¹²⁾.

ثانياً: التفريق بين الثوابت وبين ما يقبل التغيير:

فأصول العقيدة: كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وأصول الشريعة وأركان الإسلام وجميع شعائر التعبد كالصلاة والزكاة والصيام والحج. والواجبات المنصوص عليها كبر الوالدين وصلة الأرحام... وغيرها كثير، وقيم السلوك والأخلاق كالصدق والوفاء والأمانة ونحوها والمحرمات كالزنا والخمر ونحوها كل هذه ثوابت لا يمكن أن تغير، أو يتبدل الحكم فيها، وإنما المراد بتجديدها هو إحياء الفهم الصحيح لها، وإزالة ما علق في أذهان الناس من شبهات وشوائب حولها، وإعادتها لتحكم بين الناس، أما المستجدات والنوازل العقدية؛ فإنها تخضع لنصوص الشرع لتحكم فيها.

ثالثاً: اعتماد طريقي المعرفة العقلية والعقلية في العقيدة، فالمعرفة النقلية مصدرها بشقيه الكتاب والسنة، والمعرفة العقلية مصدرها الكون بشقيه الطبيعي والبشري، وذلك وفق قاعدة موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ودرء تعارض العقل والنقل⁽¹³⁾.

رابعاً: رد الشبهات العقدية الحديثة، والوقوف في وجه التحديات الراهنة مثل الإلحاد، والمادية الجدلية، والماركسية، والماسونية، والبايية، والبهائية، والقاديانية ونحوها، فهذه التيارات لا تختلف مع الإسلام في الفروع فحسب، وإنما في العقيدة والأركان، فمن أوجب الواجبات على علماء العقيدة، أن يبينوا لشباب الإسلام وعامتهم دلالات هذه المذاهب الوافدة، ويفضحوها في كل محفل، ويعملوا على تبصير العالم الإسلامي بأهدافهم وأوكارهم وأنديتهم والمنتمين إليهم⁽¹⁴⁾.

خامساً: أن يراعي الفكر التجديدي عدم التركيز على القضايا الخلافية: فلا يجوز أن يتتبع الفكر التجديدي مواطن الخلاف وينشرها بين العامة، فاجترار القضايا القديمة لن يعود على هذه الأمة بخير أو نفع يرتجى⁽¹⁵⁾.

وقد ذهب الدكتور راشد الشهوان عند الحديث عن ضوابط التجديد فحصرها بما يلي :

(12) الحمادي، سلوى بنت محمد، تجديد الدين : مفهومه وضوابطه وآثاره، مجلة الحكمة ، ع 45، تاريخ: 2012.

(13) انظر: التجديد مفهومه وضوابطه وآفاقه في واقعنا المعاصر، د. عصام أحمد البشير. 7.

(14) ينظر: تجديد الدين، د. محمد حسنين، 432.

(15) ينظر: تجديد الدين، د. محمد حسنين، 432.

- ١_ موافقة الكتاب متحدثا فيها عن تجديد معنى البدعة وعلاقتها بالتجديد والمتطور والثابت في الإسلام..
- ٢_ إتباع منهج السلف الصالح وتحديث فيها عن مفهوم السلفية والسلف في التصور الغربي و الإسلام وتقديم الشرع على العقل.
- ٣_ صحة الغاية وسلامة الوسيلة ، ثم بينهما¹⁶.

المبحث الثاني: التجديد وماهيته في العقيدة وكيف تعامل العلماء معه:

نتحدث في هذا المبحث عن التجديد في الخطاب العقدي، حيث التجديد مصطلح إسلامي أصيل مأخوذ من حديث النبي ﷺ، فجاء عن أبي هريرة عن رسول الله -ﷺ- قال: " إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها "⁽¹⁷⁾، فقال أحمد بن حنبل: إن الله يقبض للناس في رأس كل مئة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله -ﷺ- الكذب⁽¹⁸⁾، وحيث أن الحديث يبين موقف النبي ﷺ من المجدد، ويذكر أنّ هناك مجددا سيأتي على رأس كل مائة سنة مهمته تجديد الدين أو أمر الدين.

وهذه نبوءة وبشارة من نبي الرحمة ﷺ، تبعث الطمأنينة بأن هذا الدين قد تكفل الله بحفظه واستمراره، تارة بخلوده بقوله تعالى: ثَأْتَأْآ لي ما مم نر نز نم نن نى الحجر: ٩، وتارة أخرى باستمرار حياة الدين من خلال بعث المجددين على رأس كل مائة سنة، وهو تكفل من طريق آخر يضمن فيه قدرة هذا الدين على مواكبة الأحداث في كل زمان ومكان، وأن يبقى متجددا تُبعث فيه الحياة كل مدة من الزمن، وتجديد العقيدة التي هي من الثوابت، فيكون الثبات في جانب والتجديد والتغير في جوانب أخرى وفي العقيدة يعيننا الخطاب العقدي القادر على إزالة ما علق بهذا الدين من فهم خاطئ، أو الرد على الشبهات التي تثار من وقت لآخر، أو بيان بطلان بعض العقائد المخالفة وكشف زيفها وبطلانها.

فمجال التجديد في العقيدة ليس الثوابت كالعقائد الأساسية من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإنما في المتغيرات كتحريم البشرية من الخرافات لتبنى العقيدة على أساس سليم متين بعيدا عن الزيف والجهل التي تحجب العقول عن الرؤية السليمة، وهذه الخرافات باتت تتسلل إلى البعض بفعل غياب الوعي والتوجيه، وتسلك القنوات الفضائية التي تختص ببث الخرافات والمعتقدات الزائفة بثوب التدين الشكلي والظاهري مما يوهم العامة أنهم دعاة يحملون راية الإسلام فيوقعوهم في شركهم ويكونوا سببا لانتشار الكهانة والعرافة والشعوذة والسحر

¹⁶ انظر الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي : (ص ٣٨٥-٤٥٩)

(17) أبو داود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود (349/6) رقم الحديث (4291)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

(18) المصدر نفسه ، 349/6.

وكما أخبرنا الرسول ﷺ أن هذا الدين متين، فينبغي أن نوغل فيه برفق، فقال ﷺ: " إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق " (19).

وقال علي: " حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله ". (20)

فالخطاب ينبغي أن يتلاءم مع المقابل من حيث العمر والعلم والالتزام؛ حتى يتم القبول والفائدة بالحسنى، بعيدا عن التشكيك والقسوة والتعنيف.

فالتجديد أمر مرتبط بالقوة، مرتبط بالنضارة، مرتبط بالحدائث من الحديث، والتجديد يرتبط بالمعاصرة في الفكر الإسلامي، والتجديد كما هو معلوم أمر محمود؛ لأن أول ما يتبادر للذهن إن تم وفق الضوابط التي سبق ذكرها.

وعلينا أن نعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان مجددا بيعته لمن سبقه من إخوانه الأنبياء عليهم السلام، فكان آخر النبيين، وهذا ما يجعل الحاجة للتجديد ضرورة ليتفق وخلود هذا الدين الحنيف، منساقا مع مرونته محافظا على قداسته.

وقد جاء في الحاجة للتجديد ما روي عن النبي ﷺ: صلى لنا رسول الله ﷺ ليلة صلاة العشاء، وهي التي يدعو الناس العتمة، ثم انصرف فأقبل علينا، فقال: «أرأيتم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» (21)، وهنا دلالة واضحة على الحاجة إلى التجديد، حيث أن هذا يعني أن الموجودين من الصغار والكبار من تلك الليلة يموتون كلهم، وينقرض أهل ذلك القرن إلى تمام المائة سنة من تلك الليلة، وينشأ قوم آخرون، فتكمل المائة على قوم آخرين من غير الموجودين الذين شاهدوا الرسول عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت، وحملوا عنه العلم، وعرفوا الشريعة والهدى، فلا بدّ ممن يجدد لهم الدين ويعرفهم ما جهلوه، ويقم منار الشريعة التي أهملوها. وبذلك يكون أهل القرن الثالث والرابع أحوج من أهل القرن الثاني إلى من يجدد لهم الدين. (22)

ونحن في هذا البحث نتناول تجديد الخطاب العقدي، وليس الجانب العقدي أو أصول الدين، فما كان دينا في زمن النبي هو دين حتى قيام الساعة، وإنما تناولنا تجديد الخطاب العقدي، والذي ينسجم معه معنى البعث والإعادة والإحياء لما اندرس، ونجد الإمام الغزالي رحمه الله قد جعل عنوان أحد كتبه إحياء علوم الدين، وهو كتاب عرف واشتهر وذاع صيته بين الناس، فعالم بحجم الإمام الغزالي يوجه خطابه للناس باسم الإحياء ومضمون التجديد.

(19) مسند أحمد : 346/20، ط الرسالة .

(20) صحيح البخاري : (37/1) رقم الحديث (127).

(21) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) 117/1 رقم الحديث (564)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

(22) عبد الحميد صالح حمدان : علماء التجديد في الإسلام حتى القرن الحادي عشر للهجرة ، ص12، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1989، 1.

قال رسول الله ﷺ: " جددوا إيمانكم، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: "أكثروا من قول لا إله إلا الله" (23).

ويذهب الدكتور راشد سعيد شهوان إلى أن معنى تجديد الإيمان في القلب، أي: تقويته، بأن يعود مثل حالته الأولى أو أفضل. (24)

ومن الواجب على كل مسلم، في زمن كثرت فيه الفرقة والتفرق، العودة إلى الأصول القرآن الكريم والسنة النبوية وفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وأقوال العلماء، الذين جعلوا جلّ جهدهم ينصب في وحدة المسلمين ونصرتهم، وحرمة استباحة الدماء فيما بينهم، آخذين بقوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (25).

فمن خلال مفهوم أصول الدين عند الإيجي نستطيع معرفة بعض جوانب التجديد في العقيدة، حيث قال: هو علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية، بإيراد الحجج لها، ودفع الشبه عنها (26)، وهي إثبات الحقائق الدينية، والقيام على أمر الخطاب بتعلم الناس أمر دينهم فيقومون باتباع ما ثبت من خلال النصوص التي ليست محلا للتجديد، ومن ثم دفع الشبه التي اجتهد البعض لجعلها من الدين وإصاقتها به، فيكون الباعث الحقيقي هو تنقية هذا الدين من كل ما هو ليس منه، فهي مرحلة تثبيت ثم انطلاق للتغيير والتجديد والبعث والإحياء.

فالأحكام القائمة على نص فهي ثابتة أبداً. يقول الإمام ابن حزم مؤكداً هذه الحقيقة: "إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما على حكم ما.... فصح أنه لا معنى لتبدل الزمان ولا لتبدل المكان ولا لتغير الأحوال، وأن ما ثبت فهو ثابت أبداً، في كل زمان وفي كل مكان وعلى كل حال، حتى يأتي نص ينقله عن حكمه في زمان آخر أو مكان آخر أو حال أخرى" (27)، فما كان ثابتاً بدليل قطعي من القرآن والسنة وأفاد العلم اليقيني فهو ثابت أبداً كما أورد ابن حزم، وهو خارج نطاق التجديد.

فمجرد كون المرء جسراً أو قنطرة تنتقل عبرها العلوم، لا يكفي لأن يجعل في مصاف المجددين، ومع الاعتراف بجلال العمل الذي يؤديه، إلا أنه لا بد أن يضاف إلى ذلك جهد إزالة الشوائب والأخطاء النظرية في العلوم، وردها إلى منابع السنة، وتصحيح الانحرافات العملية في المجتمع. (28)

(23) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -

عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (14/328) رقم الحديث (8710)، مؤسسة الرسالة، ط2001، م1.

(24) الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي: راشد سعيد يوسف شهوان، ص354، دار النحوي للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.

(25) صحيح البخاري: 12/1 رقم الحديث (13).

(26) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: د عثمان جمعة ضميرية، ص 127، مكتبة السوادى للتوزيع، ط2، 1996م

(27) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد خير، ص35، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1،

2012 م.

(28) المصدر نفسه: ص 38.

فالتحديات والانحرافات والحاجات للتجديد تختلف من عصر إلى عصر آخر فهي متغيرة، بحسب طبيعة المجتمع وظروفه واختلاطه بغيره، وتأثره وتأثيره، وتطبيقه للإسلام، أو بعده عنه وانحرافه عن سواء السبيل، وأرى أنه لا بد من الانطلاق نحو تجديد الخطاب الموجه إلى المجتمع، تبعاً للتحديات والانحرافات المعاصرة من حيث:

تقرير العقائد الثابتة من الكتاب والسنة والسلف الصالح، والعودة إلى الأصل الجامع بين الفرق الإسلامية ونبذ الخلاف في الفرعات، والذي لا يخدم إلا من يترصب بهذه الأمة المنون، وأجد أن لغة الواقع باتت تطغى من حيث وجود بعض المشككين الذين تبوّأوا ما يزعمون من أنه لغة العقل والعقل من بريء، وجعلها معياراً للنص حاكماً عليه، كخوضهم في مسألة عذاب القبر الذي يعدّ من الغيبيات (السمعيات) في عالم البرزخ، فلا طريق إليه إلا من خلال الخبر الصادق.

ومن المسائل ما يزعمه بعض المشعوذين والدجالين من علمهم الغيب، **ثَأْتَأْخ لِم لِي لِي مَج مَج مَخ مَم مِي مِي نَجْنَج نَخ نَحْنِي نِي هِي هِي يَج يَحِيخ يَحِي يِي ذُرِي ذُرِي الأعراف: ١٨٨**، **وَأْتَأْأَكْج كَد كَذْ كَم لَج لَحْلُذْ لَم لَهْمَج مَد مَذْ مَم نَج نَد نَحْ نَمْيُونَس: 20**، **وَأْتَأْأَيْخ يَم يِي يِي ذُرِي ذُرِي نَزْ نَزْ نَم نَن نِي نِي يِرِيزِيم يِن يِي يِي نَجْدُ نَجْدُ** من المسائل أيضاً رؤية الجن، والله تعالى يقول: **أَنْزَلَ نَزْلَ نَمْنَنِ نِي نِي يِرِيزِيم يِن يِي يِي نَجْدُ نَجْدُ** الأعراف: 27، وما يتعلق بهذه المسألة ويتبعها من استغلال للناس، وتستخدم في السحر والتفريق، وإحداث الفتنة بين عباد الله، واستغلالها الآن للبحث عن الكنوز و الدفائن بأسلوب بشع.

وأرى أن من المسائل الأشد خطورة، والتي أحدثت انقساماً كبيراً في الصف الإسلامي، ويوظفها البعض توظيفاً خطراً، إما بدافع حسن النية، وسلامة السريرة في أن لا يدخل في الدين ما ليس منه، أو مدفوعاً بخبث من غيرنا لإشغالنا في أنفسنا ويبقى الانقسام هو اللغة السائدة في الابتداع والبدعة، فنجد الاختلافات والانقسامات أصبحت موسمية مثال ذلك: الاحتفال بالمولد النبوي، وأقول أما أن لنا أن نتجاوز هذا الاختلاف.

وأجد في مسألة مرتكب الكبيرة خاصة سفك الدماء من المسلمين أنفسهم، وهي المسألة القديمة الجديدة، والتي طالت صورة المسلمين بالسوء والوحشية، والتي أخذت منحى وبعداً يعدّ عقبة في نشر الدعوة الحقّة النابعة من رحمة الإسلام، فنشاهد على القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي من يقتل باسم الله أكبر، ثم نجد من يخالفه يقتل باسم الله أكبر، لتصبح كلمة الله أكبر من خلال أفعال هؤلاء تحمل على النقيض من حقيقتها النابعة من **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** الله الرحمن الرحيم، وأصبحت دماء المسلمين تعبث بها الأيدي وتزهقها، في ظل غياب كلي عن قول الله تعالى: **أَأَكِي لَمَلِي لِي مَم نَر نَزْنَم نَن نِي نِي يِر يَز يَم النساء: 93**.

فحال الأمة يدعو إلى الوحدة والتآخي التي بدأ بها رسول الله ﷺ في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، قائم على وكونوا عباداً لله إخواناً، الحل في حال الخلاف فأصلحوا بينهما، فأين هذا الحال؟، فعلى الدعاة السعي لزرع التعلق بالله، والاستعانة به وبث روح الأمل النابع من تمسكنا بثوابتنا وعقيدتنا السمحة السهلة اليسيرة بالتوحيد، وبيان أن النفع والضرر بيد الله، والرزق بيده والخير بيده، فشبابنا ومجتمعاتنا بحاجة إلى الأخذ بيدهم بالاعتصام بحبل الله ليكون لهم منهجاً تطبيقياً يعيشونه.

وعلينا أن نبين السمعيات في العقيدة وفق المنظور الإسلامي الأصيل وبيانه للناس، حتى تتضح الرؤية ويذول اللبس، فالقبر ليس عذاب فقط فربما يكون روضة من رياض الجنة، والآخرة ليست ناراً فقط بل لربما تكون جنة، ازرع في هذه الدنيا خيراً ستجد الخير في الآخرة، ولا يأس من رحمة الله.

فالخطاب لا بد أن يرتقي بالخلق، ويكون بقدر العقول، ويحمل الأمل ويبين القادم، نرتقي فيه عند الاختلاف في الرأي، هدفنا فيه البحث عن الحقيقة والوصول إليها دون الالتفات على يد من ظهرت، مبتعدين عن تقديس الأشخاص والتعننت في الآراء، أن يكون الاختلاف في الآراء لا في الرجال، فلا معصوم بعد رسول الله.

الخاتمة :

لقد أخذ التجديد طريقاً عني في إذابة الخلافات في الفرعيات بين المسلمين وتوجيه الخطاب لمن هم بحاجة لمعرفة دين الله ودعوتهم للدخول في الإسلام، ونبذ الخلافات التي قربت الأعداء، وفرقت صف المسلمين.

بيان المفاهيم الإسلامية الأصيلة تجاه بعض القضايا المعاصرة التي تتعلق بجوهر العقيدة، والتي باتت طريقاً لسلب الناس أرواحهم، وأموالهم، وفرقت الأسر كالسحر، ورؤية الجن، وشجرة الزقوم، مع بيان القرآن للموقف الإسلامي الأصيل نحوها من مصدره الأصيل، حيث أن غياب العلماء في العقيدة عن دورهم في البيان، وانشغالهم في تحقيق بعض المسائل أوجد المساحة بعند البعض لبث جهلهم واستغلال العامة في مثل هذه القضايا، هذا يدفعنا على العودة إلى بيان ما أشكل فهمه على العامة بفعل هؤلاء.

والقرآن الكريم عندما قصّ علينا قصص الأنبياء السابقين، بيّن لنا فائدة عظيمة لم تترك باباً مفتوحاً للأفهام حتى يطلقوا أحكامهم تجاهها، بل للأخذ بفهم سليم وفق مراد الله.

التجديد ينبغي أن يأخذ دوره العقدي ويتجه إلى الجانب التطبيقي في العقيدة، لبيان ما هو قادم من النبوءات النبوية التي تتحدث عن غيب المستقبل، وتجذير الفهم الصحيح وفق عقيدة الإسلام، بما ينفعهم ويبين لهم كيفية التعامل مع القادم منها؛ حيث يجهل البعض كيفية الوقاية منها كالمنجية من عذاب القبر، والمنجية من الدّجال، وأمور الآخرة بما ينفعهم وينجيهم من تلك الفتن، ليكون الجيل المعاصر مستحضراً للفهم الصحيح وسبل مواجهة ما حذرنا منه المصطفى ﷺ.

فالتجديد يأخذ معنى الطهارة، كما في تجديد الوضوء، وليس كما يتوهم البعض الزيادة والتغيير والحذف ، فالضوابط السليمة والصحيحة للتجديد تجعله حقلاً نافعا ينتفع بطيب ثمره في جميع مجالات الحياة.

التوصيات : اخذ بأصل الدين الذي جاء رحمة بالناس جميعاً ، والتركيز على الوحدة الإسلامية ونبذ الفرقة ، و تحقيق حقيقة الاستخلاف في عمارة الأرض ، وتنقية الأصيل من كل ما شابه من زيف الدخيل لاسيما الإسرائيليات، و دفع الشبه حول بعض المفاهيم في العقيدة وبيان حقيقتها للعامة بالاستدلال على ذلك من الكتاب والسنة كالسحر والجن والقدر والتوكل على الله وحرمة الدماء .

المصادر والمراجع:

1. سنن أبي داود، أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، (349/6) رقم الحديث (4291)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
2. الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي: راشد سعيد يوسف شهوان، ص354، دار النحوي للنشر والتوزيع، عمان، 2008م.
3. تجديد الدين، د. محمد حسنين، ط 1.
4. التجديد مفهومه وضوابطه وآفاقه في واقعنا المعاصر، د. عصام أحمد البشير. 7.
5. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) 117/1 رقم الحديث (564)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
6. علماء التجديد في الإسلام حتى القرن الحادي عشر للهجرة، عبد الحميد صالح حمدان: ص12، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1989.
7. عون المعبود شرح سنن أبو داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية، ط 2، 1415هـ، 11 / 260.
8. الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة ط (1)، (1406هـ)، ص (27).
9. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، القاهرة، 1356هـ، 9 / 1.
10. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) (111/3) دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
11. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط 2، 1407هـ / 1987م، ص 346 - 347.
12. مفهومه وضوابطه وآثاره، المحمادي، سلوى بنت محمد، تجديد الدين: مجلة الحكمة، ع 45، تاريخ: 2012.
13. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: د عثمان جمعة ضميرية، ص 127، مكتبة السوادي للتوزيع، ط2، 1996م.
14. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (328/14) رقم الحديث (8710)، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

15. المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، أشرف على الطبع/ حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، ط 2، (1392هـ / 1972م)، (1/ 110).
- والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، 1/ 291.
16. مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد خير، ص35، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 2012 م.
17. موجز تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، أبو الأعلى المودودي، ط 2، 1386هـ / 1967م، دار الفكر الحديث، لبنان، 52.